

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## المحاضرة العاشرة / بلاغة أسلوب النداء في النص القرآني

الأستاذ الدكتور رحيم الشريفي

الثلاثاء ٢٣ / ٢ / ٢٠٢١ م

في هاته المحاضرة سنتحدث عن بلاغة أسلوب النداء في النص القرآني ، وهو الأسلوب الرابع من أساليب الإنشاء الطلبي ، بعد أساليب الأمر والنهي والاستفهام ؛ إذ أدخله البلاغيون في الإنشاء الطلبي (١).

وقبل الغور في مسارب هذا الموضوع وتبيان معالمة ومظاهره علينا أن نتبين دلالة النداء في ثلاثة محاور :

المحور الأول : النداء لغة

النداء والتداء لغتان من ندى أو ندو ، قال ابن فارس (٣٩٥هـ) : (( التَّوْنُ وَالذَّالُّ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ يَدُلُّ تَجْمَعُ ، وَقَدْ يَدُلُّ عَلَى بَلَلٍ فِي الشَّيْءِ ، فَالْأَوَّلُ : التَّادِي وَالتَّدِيّ الْمَجْلِسُ يَنْدُو الْقَوْمُ حَوْلِيهِ ، وَإِذَا تَفَرَّقُوا فَلَيْسَ بِنَدِيٍّ ، وَمِنْهُ دَارُ التَّدْوَةِ بِمَكَّةَ ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَنْدُونَ فِيهَا ، أَيْ يَجْتَمِعُونَ ، وَنَادِيَّتُهُ : جَالِسَتُهُ فِي التَّدِيّ..... وَالْأَصْلُ الْآخِرُ : التَّدَى مِنَ الْبَلَلِ..... وَمِنَ الْبَابِ : نَدَى الصَّوْتُ : بُعِدَ مَذْهَبُهُ ، وَهُوَ أُنْدَى صَوْتًا )) (٢).

ويرى ابن منظور (٧١١هـ) أنَّ التَّدَاءَ وَالتَّدَاءَ : ((الصَّوْتُ مِثْلُ الدُّعَاءِ وَالرُّغَاءِ ، وَقَدْ نَادَاهُ وَنَادَى بِهِ وَنَادَاهُ مَنَادَةً وَنَدَاءً أَيْ : صَاحَ بِهِ)) (٣).

ويرى الفيومي أنَّ ((التَّدَاءَ الدُّعَاءَ وَكَسْرَ التَّوْنِ أَكْثَرُ مِنْ ضَمِّهِ وَالْمُدُّ فِيهَا أَكْثَرُ مِنَ الْقَصْرِ ، وَنَادِيَّتُهُ مَنَادَةٌ وَنَدَاءً مِنْ بَابِ قَاتَلَ إِذَا دَعَوْتُهُ )) (٤).

في ظلّ ما تقدّم فإنّ الدلالة المحورية ل( النداء ) الاجتماع وبعد الصوت ؛ فالنداء يتطلّب الاجتماع والتّحاور والدعاء والصوت بين الجالسين.

المحور الثاني : النداء في الاستعمال القرآني

في ضوء متابعة التسق المفهومي لمشتقات مادة ( ن د و ) أشار الرّاعب الأصفهاني إلى جملة من الدلالات المحتملة (٥) ، ل ( النداء ) في النص القرآني منها : رفع الصوت وظهوره قال تعالى (( ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلّا دعاءً ونداءً )) (البقرة / ١٧١) ، وقوله تعالى : (( وإذ نادى ربك موسى

((الشعرآء / ١٠) ، وكذا التنبية على البعد عن الحق في قوله تعالى : (( واستمع يوم يُنادِ المُنادِ من مكان قريب )) (ق / ٤١) ، وقوله تعالى : (( وناديناه من جانب الطُّور الأيمن )) (مريم / ٥٢) ، وعُبرَ عن الجلسة بالبدء حتى قيل للجلس ، قال تعالى : (( فليدعُ ناديه )) (العلق / ١٧) ، والحفي من الصوت ويتجلى في نداء زكريا ( عليه السَّلام ) ربّه ؛ لأنّه تصوّر نفسه بعيدًا منه بذنوبه وأحواله السيئة كما يكون حال مَنْ يخاف عذابه قال تعالى : (( إذ نادى ربّه نداءً خفيًا )) ( مريم / ٣ ) .

### المحور الثالث : البدء في اصطلاح البلاغيّين

لا يكاد يفترق المصطلح البلاغيّ ل ( البدء ) عن دلالته اللغوية وكذا دلالته في الاستعمال القرآنيّ ، فالدعوة وطلب الإقبال والتنبية حاضرة في التعريف الاصطلاحيّ ، فهو : التصويت بالمنادي ليقبل ، أو هو طلب إقبال المدعو إلى الداعي .(٦)

### ومن التعاريف التي وقفنا عليها عند المتأخرين والمحدثين :

- ١- عرّف الخطيب القزوينيّ النداء : (( طلب إقبال المخاطب ، أو هو دعوة المخاطب بحرفٍ من حروف البدء يحلّ محلّ الفعل المضارع : أنادي ))(٧).
- ٢- عرّف محمد بن عليّ الجرجانيّ الحليّ البدء : (( هو إنشاء نسبة البدء بحرفٍ يقوم مقامها ليقبل المخاطب به إلى المتكلم به بقلبه ، وليس مقصودًا بذاته وإنما ينادى ؛ ليبدأ بكلام بعده ، أو ليعلم حضوره أو غيبته ، أو لنسبة صفة إليه فيكتفى بإطلاق مشتقّ منها عليه ، يا فاسق ، ليعيره به ، أو يا مظلوم ، لتغريه على التظلم ))(٨).
- ٣- عرّف عليّ بن حمزة العلويّ البدء بأنّه : (( هو التصويت بالمنادى ؛ لإقباله عليك ، هذا هو الأصل في البدء ، وقد تخرّج صيغة البدء إلى أن يكون المراد منها غير الإقبال ، بل يُراد منها : التخصيص ، كقولك : أمّا أنا فأفعلُ كذا أيّها الرّجلُ ، ونحنُ نفعلُ كذا أيّها القومُ ، واللّهم اغفر لنا أيّها العصابةُ ، ولم يعنو بالرّجالوالقوم إلا أنفسهم ))(٩).
- ٤- عرّف أحمد مصطفى المراغيّ البدء بأنّه (( دعوة المخاطب بحرفٍ نائبٍ منابٍ فعلٍ ك( أدعو ) ونحوه ))(١٠)
- ٥- عرّفه عبد العزيز عتيق بأنّه (( طلب إقبال المدعو على الداعي بأحد حروف مخصوصة ينوب كلُّ حرفٍ منها مناب الفعلِ أدعو ))(١١).
- ٦- وعرّفه الدكتور بسيوني عبد الفتّاح بأنّه (( طلب الإقبال بحرف نائب مناب (أدعو) ؛ ليصغي المدعو إلى أمر ذي بالٍ ))(١٢).

وفي ظلّ ما تقدّم من تعريف نبصرُ أنّ الدّلالة المصطلحيّة ل ( التّداء ) هي طلب إقبال المُتادَى وتنبئيه وإيقاظه لأمر مهمّ يستدعي الانتباه والإيقاظ والتأمّل والتّفكّر والتّدبر ، فهو رسالة موحّمة من منتج الخطاب المتكلم إلى المتلقّي ؛ من أجل إيقاع فعل التنبئيه والإيقاظ والإدراك والتّفكّر ، فهو يمثّل قوة إنجازيّة تأثيريّة في مستقبل الخطاب ( المخاطب ) ( ١٣ )

وفطن الدكتور عمر إسماعيل البرزنجي لأثر هذا الأسلوب في التّواصل الاجتماعي ، فهو وسيلة نافعة ومثمرة في التّواصل بين النّاس ودليلٌ لاجتماعيّة اللّغة وبعدها التّداولي الثّابت .( ١٤ )

### معالم أسلوب النّداء في النّص القرآني ومظاهره

في هذه الفِقرة سيكون الحديث عن أهمّ المعالم التي تجلّت في النّص القرآني ، وهي :

حرف التّداء ( يا ) ظاهرًا ومضمّرًا

لم يرد من حروف التّداء في النّظم القرآني سوى ( يا ) خاصّة ، إذ (( الغاية من التّداء القرآني أن ينبئه المنادي فيصغي إلى ما يلقي إليه ؛ لأنّ كلّ ما نادى الله له عباده من أوامر ونواهٍ وعظمت وزواجر ووعد ووعيد ونحو ذلك ممّا أنطقَ به كتابه أمور عظام ومعانٍ ينبغي أن يتيقظوا لها ، ويميلوا بقلوبهم وبصائرهم إليها )) ( ١٥ ) .

من ذلك قوله تعالى : (( يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود )) ( المائدة / ١ ) ، وقوله تعالى : (( يا أيها المدثر قم الليل )) ( المثر / ١ ) ، وقوله تعالى : (( يا أيّها النّفس المطمئنّة ارجعي إلى ربّك )) ( الفجر / ٢٧-٢٨ ) ، وقوله تعالى : (( قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكوننّ من المرجمين )) ( الشعراء / ١١٦ ) .

وسكت عن حرف التّداء في النّص القرآني في مواضع عدّة ؛ بدلالة الاكتفاء وقصدية قرب المنادى وخضوع الدّاعي إلى الخالق العظيم وشعوره الأكّد بقربه منه ( جلّ جلاله ) ، ومن ذلك قوله تعالى على لسان الأنبياء ( موسى وإبراهيم ونوح ولوط ) عليهم السّلام ، قال تعالى : (( قال ربّ إني أخاف أن يكذبون )) ( الشعراء / ١٢ ) ، وقوله تعالى : (( ربّ هب لي حكماً وألحفتي بالصّالحين )) ( الشعراء / ٨٣ ) ، وقوله تعالى (( قال ربّ إنّ قومي كذّبون )) ( الشعراء / ١١٧ ) ، وقوله تعالى : (( ربّ نجني وأهلي ممّا يعملون )) ( الشعراء / ١٦٩ ) ؛ إذ (( نجد حذف حرف النّداء ( يا ) في كلّ هذه الآيات التي تأتي للقريب والمتوسّط والبعيد ، واستعمل الأنبياء هذا الأسلوب بصيغة الدّعاء في حالة شكواهم أو نجاتهم من قومهم )) ( ١٦ ) .

وتجلّى دلالة الاكتفاء باضمار حرف التّداء ( يا ) في أسلوب ( اللهمّ ) الذي ورد في النّص القرآني ؛ من أجل استظهار دلالة القرب الإلهي من المنادى وهو الخالق العظيم ، وشدة الاّصال والالتصاق به ( جلّ جلاله ) ، قال تعالى : (( قل اللهمّ مالك الملّك تؤتي الملّك من تشاء وتنزع الملّك من تشاء ))

وتعزُّ من تشاء وتذلُّ من تشاء)) (آل عمران / ٢٦) ، وقوله تعالى : (( قال عيسى ابنُ مريمَ اللَّهُمَّ ربَّنَا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لأؤلئنا وآخرنا وآية منك )) (المائدة / ١١٤).

### تنوع المندى في النصِّ القرآنيِّ

من المعالم الإعجازية في النَّظْمِ القرآنيِّ تلون المندى وتنوعه ؛ إذ لم يقف النداء في القرآن الكريم عند نداء الحيِّ العاقل ، بل تجاوزه فنوديت الطيور والحيوانات والجمادات ومشاهد البيعة وأحوال النفس ، نوديت الإبل والأرض والسماء والجمال والتَّمَلُّ والطَّير ، إذ أنزلها الله العليُّ العظيم منزلة العاقل فأمرها ونهاها فهي مسخرة ومطبعة لله (عزَّ وجلَّ) من ذلك قوله تعالى : (( ولقد آتينا داود مئاً فضلاً يا جبالُ أوَّبي معه والطَّير )) (سبأ / ١٠) ، وقوله تعالى : (( وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء )) (هود / ٤٤) ، ونلمح نداء لبت والنفس وويلتي وحسرتي والبشرى وإنزالها منزلة الشاعرة بالآلام والتَّحسُّر والفرح والسُّرور وغيرها من عوارض النفس الإنسانيَّة على وفق معاينة التَّسابق وقرائن الحال ، قال تعالى : (( ويوم يعصُّ الظالم على يديه يقول يا ليتني اتَّخذت مع الرُّسول سبيلاً يا ويلتي ليتني لم اتَّخذُ فلاناً خليلاً )) (الفرقان / ٢٧-٢٨) ، وقوله تعالى : (( أن تقول نفس يا حسرتي على ما فرطت في جنب الله )) (الزُّمَر / ٥٦) ، إذ لا يخفى الشعور بالتَّدَمُّ والحسرة والأسى في أعلى الدرجات ؛ كأنَّ الويل والحسرة تسمع وتشعر وترى .

ونلمح مناداة البشرى في سورة يوسف للدلالة على شدة الفرح والغبطة والسُّرور ، قال تعالى : (( وجاءت سيَّارة فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه قال يا بشرى هذا غلام )) (يوسف / ١٩) ؛ (( وكأنَّه يريدُ : يا بشرى أقبلي فهذا أوان حضورك ، إنَّ نداء البشرى في الآفة الكريمة يدلُّ على فزط السُّرور وغاية الاستبشار بالغلام الذي عُثِرَ عليه )) (١٧).

### مصاحبة النداء الأمر والنهي

من المعالم والمظاهر التي نرصدها في النصِّ القرآنيِّ أن يصحبَّ النداء أمرٌ أو نهيٌ ، وهو ما نطلقه عليه ب ( التَّلاحق أو التَّوالي أو التَّعاقب الإنشائيِّ الطَّلبيِّ ) ، وهذا التَّلاحق يعطي قوة إنجازية وتأثيرية في النصِّ وهو ضربٌ من التَّراكم الدَّلاليِّ في النصِّ ؛ إذ تتوشج دلالات الإقبال والتَّنبية والإيقاظ والطلب والمنع في النصِّ وكلُّها أماراتٌ على عظم الخطاب وكونه يتحدَّث عن قضية جليلة ، قال تعالى : (( يا أيُّها الناس اعبدوا ربَّكم )) (البقرة / ٢١) ، وقوله تعالى : (( يا أيُّها الذين آمنوا لا تقدِّموا بين يدي الله ورسوله )) (الحجرات / ١) .

وقد يلحق النداء استفهام فتتحقق دلالتان التنبية والإيقاظ والاستخبار ، قال تعالى : (( يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر )) (مريم / ٤٢).

خروج النداء إلى سياقات توليدية وإنتاجية

يُخرج النداء في القرآن الكريم إلى سياقات توليدية وإنتاجية ( معانٍ مجازية ) ، بحسب السياق  
وقرائن الأحوال ومن هاته السياقات :

- ١- التَّحْتَبُّبُ والتَّوَدُّدُ كقوله تعالى : (( ونادى نوح ابنه وكان في معزل يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين  
)) (هود / ٤٢) .
- ٢- التَّصِيحَةُ والإرشاد كقوله تعالى : (( يا بني اقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما  
أصابك )) (لقمان / ١٨) .
- ٣- التَّحَسُّرُ والتَّيْنِيسُ كقوله تعالى : (( ويقول الكافر يا ليتني كنتُ ثرابًا )) (التَّبَا / ٤٠) .
- ٤- التَّعْيِينُ والاختصاص كقوله تعالى : (( وتوبوا إلى الله جميعاً أيه المؤمنون لعلكم تفلحون )) (التَّوْر / ٣١) .
- ٥- الدَّهْشَةُ والتَّعْجَبُ كقوله تعالى : (( يا حسرةً على العباد ما يأتيهم من رسولٍ إلا كانوا به يستهزؤنَ  
)) (يس / ٣٠) .
- ٦- التَّرْكُ والمنع كقوله تعالى : (( يا إبراهيمُ اعرضُ عن هذا إنه قد جاء أمرٌ ربِّكَ )) (هود/٧٦) .
- ٧- الغبطة والفرح والسرور كقوله تعالى : (( قيل يا نوح اهبطْ بِسَلامٍ مِنَّا وبركاتٍ عَلَيْكَ وعلى أُمَّمٍ مِمَّنْ مَعَكَ  
)) (هود / ٤٨) .
- ٨- الإغراء والتَّحْذِيرُ وقد اجتمعتا في قوله تعالى: (( ناقةُ اللَّهِ وسقياها )) ( الشمس / ١٣ ) إذ سكت عن  
حرف النداء (الياء) بدلالة الاكتفاء وسرعة الخطاب وتوكيده<sup>(١٨)</sup> .

وَأخْرُ دَعْوَانَا أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ